الخلاصـــــة

اذا كنا قد أدركنا الآن مافى جعبة الجامعات الأمريكية من رسائل نوقشت فى تاريخ مصر الحـــديث ، وتعرفنا عليها فان هذا لايكفى بل يجب مزاولة البحث أيضـــا فيما أجازته الجامعات الأوربية من بحوث، واذا كنا على بينة ببعض ما أجازته الجامعات الانجليزية خصوصا وان لندن دائما محط أنظار أســـاتذة وباحثى التـــاريخ الحـــديث المصريين فان هذا لايكفى أيضـــا بل يجب التنقيب فيما أجازته باقى جامعـــات أوربا من بحوث فى تاريخنا المصرى الحديث ، وأن نحاول توجيه طلاب الدراسات العليـــا الى الدراسات الأكاديمية المقـــارنة لتبين مافى هذه الرسائل التى كتبت بأقلام غير مصرية من وجهـــات نظر مختلفـــة فى تاريخنا ، خصوصا وأن بعض هذه الرســـائل ربما قـــد كتبت بأقـــلام مغرضة حاولت أو تحاول تشويه تاريخنا المصرى ، ومن أولى بالدفاع عن تاريخ مصر من جامعـــات وأساتذة وباحثى مصر • يضاف الى ذلك أنه عن طريق هذه الدراسات يمكننا التعرف على المنـــــاهج التاريخية الحديثـــة فى الجامعات الأوربية مزاياها وأوجه القصور فيها ، ونحاول أن نستكمل هـــذه الدراسات التى كتبت عن تاريخنا لا أن نـــكررها بل نضيف اليها مافى جعبـــة وثائقنـــا الموجودة فى مصر فى دور الوثائق والمحفوظات وغيرها من الأماكن المعروفة والمجهولة ، ثم نبين ماهو الغث وما هو الثمين فى هذه الدراسات حتى يوضـــع كل شىء فى موضـــعه الصحيح •

حقيقة أن جمع المـــادة العلمية فى أوربا وأمريكا لم يعد هـــدفا رئيسيا فى حد ذاته بعد التسهيلات التى يقدمها الـــكمبيوتر وماكينات التصـــوير للبـــاحثين وأيضا نظام Interlibrary Loan وانما الفهم لهذه المـــادة وتحليلها وتقييمها هو الهدف الذى تقيم عليه الجامعـــات

هنـــاك رسائل باحثيها ، أما عن مصر فما زال جمع المـــادة العلمية من مصـــادرها الأصلية مشكلة تواجـــه البـــاحثين الذين يحفرون فى واقع مجتمعنا للوصول الى الحقيقة ، وكأنهم ينحتون فى الصخر ، أو ينقبون عن البترول فى صـــحراء جرداء قاحلة ليشـــقوا طريقهم العلمى لفرط مايلقون من صعاب فى تجميعها ، ومع ذلك فعزيمة الـــكثيرين من باحثينا وأساتذتنـــا دفعت بالمـــدرسة التاريخيـــة المصرية الى الأمام دفعـــات قوية ، ويشهد على ذلك المـــكانة المحترمة التى حازتها بعض الرســـائل التى نوقشت فى مصر بين أوساط المؤرخين المنصفين فى أمريكا وأوربا لدرجة أن هذه الرسائل التى قـــدر لبعضها النشر وظهـــرت الى النور تعتبر حاليـــا من المراجع الأساسية فى تاريخ مصر ، وتوجـــد بجانب غـــيرها من الـــكتب التاريخيـــة لمشـــاهير المؤرخين الغربيين فى مكتبة الـــكونجرس بواشنطن ، ومكتبات جامعات هارفارد وميشجان وشيكاغو وبرنستون وغيرها ، ومع ذلك فمن غير المنطقى القول بأن كل الرســـائل التاريخية التى نوقشت فى الجامعات المصرية كانت على المستوى المرجو منها بل أنه كما أن هنـــاك الثمين فهنـــاك الغث ، وهذا ينصب أيضا على ماأجيز فى الجامعـــات الأمريكية من رســـائل فى تاريخ مصر الحديث، فرغم التطور والتقـــدم العلمى بهـــا فان هذا لم يدفع بكل الرســـائل الى المستوى المرموق فكما أن هناك رسائل عظيمة القيمة فهناك أيضـــا رسائل وجه اليها النقد لما اتسمت به من قصور •

ومن المفيد أن نذكر فى هذا المقام أن معظم الرسائل التى أجازتها الجامعات الأمريكية فى تاريخ مصر الحـــديث لم يقـــدر لها النشر مثل الرسائل التى نوقشت فى الجامعات المصرية ، ولـــكن الفرق هنا يبرز فى أن الفهارس والنظم المكتبية فى الجامعات ومراكز البحث الأمريكية أكثر تنظيما ووضوحا من نظمنا المـــكتبية لدرجة تساعد الباحثين وتيسر لهم أعمالهم ، فالباحث يستطيع عن طريق الـــكمبيوتر أن يتعرف على الرسائل التى نوقشت حول موضوع بحثـــه فى لحظات معدودة ، كما

يستطيع عن طريق Interlibrary loan استعارة أى رسالة من أى مكان فى جامعات الولايات المتحدة أو خارجها بدون مقابل •

ولكن نظمنا المكتبية فلم تزل يشوبها بعض القصور والتعقيدات التى ترهق الباحث وتعيق حركة البحث العلمى ، فالمكتبات الجامعية المصرية تتكدس فيها رسائل عظيمة القيمة لم تر النور بعد ، ونظرا لعدم انتظام فهارسها فقد أصبح يلتبس الأمر على الباحث الأجنبى فى شأن الرسائل التى نوقشت فى جامعاتنا والتى لم تناقش ، ونرى نفس الشىء بالنسبة لبعض أقسام التاريخ فى الجامعات المصرية حيث اتضح أن هناك رسائل تكررت دون احاطة هذه الأقسام علما بها ، بل لقد وصل الأمر أن تكرر الاشراف لدى مشرف واحد على رسالة ذات موضوع واحد ، وقد يدفعنا ذلك الى أن نتساءل لمصلحة من هذه التعقيدات ، ولمصلحة من هذا التكرار ، وما هى الفائدة التى تعود على الوطن وباحثيه من تمسك البعض بالبيروقراطية العتيقة التى لاتخدم سوى التخلف وعدم مسايرة العصر الذى نعيشه •

يضاف الى ذلك أن معظم الرسائل التى أجازتها الجامعات الأمريكية والتى قدر لها النشر قد أضاف اليها أصحابها العديد من التعديلات والتغييرات أحيانا فى عنوان الرسالة وأحيانا فى بناء الرسالة نفسه ، وهذا مالم يحدث فى معظم الرسائل المصرية التى قدر لها النشر فغالبا ماتنشر كما هى وأحيانا تنشر بعد حذف الحواشى ، وبعض الفصول اختصارا للنفقات كما يحدث فى الهيئة العامة للكتاب وغيرها من دور النشر •

وبعد هذه الدراسة المقارنة حاولنا اكتمال الصورة بمعرفة من أحرز قصب السبق فى دراسة تاريخ مصر الحديث فى رسائل أكاديمية جامعية هل الجامعات المصرية أم الجامعات الأمريكية ، وما هى الرسائل التى تتكرر دراستها هنا وهناك ، وقد اتضح لنا الآتى :

ان الجامعات الأمريكية سبقت الجامعات المصرية فى بعض الدراسات ثم لاحقتها الجامعات المصرية بدراسات متماثلة ومتنوعة ، كما أن الجامعات المصرية سبقت الجامعات الأمريكية فى العديد من الدراسات ولاحقتها الجامعات الأمريكية فى بعضها ، وان لم تلاحقها فى البعض الآخر حتى الآن .

أما عن الرسائل التى تتكرر دراستها هنا وهناك فهى متعددة وان لم يفد كل من الطرفين من معظم الرسائل التى أجيزت قبل الآخر خصوصا فى معظم الرسائل غير المنشورة وعلى سبيل المثال فمع أن سمير طه فى دراسته للماجستير عن على مبارك سبق Darrell Dykstra فى دراسته عن نفس الموضوع فان الباحث الأمريكى لم يرجع الى هذه الدراسة ، ولم يعرف أن هناك رسالة نوقشت فى قسم التاريخ بجامعة القاهرة عن على مبارك [1] ومع أن عبد المنعم الجميعى سبق Ann Elizabeth Mayer فى دراستها للماجستير عن عباس الثانى فان الباحثة الأمريكية لم ترجع الى دراسته ، ولم تعرف أن هناك دراسة نوقشت فى قسم التاريخ بجامعة القاهرة تحت هذا الموضوع ، وقل مثل ذلك بالنسبة الى الرسالة التى قدمها محمد صادق الكاشف تحت عنوان : « **أثر دار العلوم فى الحياة الأدبية فى مصر** » فمع أن صاحبها سبق الباحثة الأمريكية لويز أوريان ، فان هذه الباحثة لم ترجع الى رسالته كما كان ينبغى .

ولم يقتصر ذلك على الباحثين الأمريكيين بل ينصب على الباحثين المصريين سواء بسواء ، فمعظمهم لم يستند من الدراسات الأمريكية التى سبقت دراساتهم خصوصا غير المنشور منها فمع أن Michael Horn سبق سمير طه ولطيفة سالم وعبد المنعم الجميعى

---

(١) فى مقابلة مع الباحث Dykstra بمدينة Cleveland الأمريكية بولاية فى ١٩٨٤/٤/٢٩ .

فى دراستهم عن الثورة العرابيـــة فان أحدا من هؤلاء الثلاثة لم يرجع الى هذه الدراسة ، ولم يعرف عنها شيئا ، وربما أيضا الأساتذة المشرفين على رسائلهم لم يعلموا أن هنـــاك دراسة نوقشت فى جامعة هارفارد عن الثورة العرابية ، والا كانوا قد نصحوا بالرجوع اليها •

وعن أوجه الشبه والاختلاف بين الرسائل الأمريكية والمصرية من حيث موضوعات الدراسة يتضح مايأتى :

١ — أن موضوعات تاريخ مصر السياسى نالت النصيب الأوفر من الدراسة عن غيرها من الموضوعات الثقافية والاقتصادية والاجتماعيـــة سواء كان ذلك فى الجامعات الأمريكية أو المصرية •

٢ — ان الموضوعات التى درستها الجامعـــات المصرية فى تاريخ مصر المعاصر بعد ١٩٥٢ تفوق بكثير ما أجازته الجامعـــات المصرية من دراسات حول هذا الموضوع •

٣ — ان اعتماد الباحثين الأمريكيين على المصـــادر غير المـــكتوبة بالعربية يفوق اعتمادهم على المصادر العربيـــة ، وهذا عكس الحال مع الباحثين المصريين الذين يتخذون فى معظم الأحيان من المصادر المصرية أساسا لدراساتهم •

وبعد أن عرضنا لهذه الرسائل المتعددة التى ناقشتها الجـــامعات الأمريكية فى تاريخ مصر الحديث يطرح علينا السؤال نفسه وهو : لماذا يتزايد عدد الباحثين فى الجامعات الأمريكية الذين طرقوا تاريخ مصر الحديث فى الأعوام الأخيرة ؟

الواقع أنه بعد أن بلغ اهتمام الولايات المتحدة غايتـــه بمنطقـــة الشرق الأوسط عموما ومصر خصوصا أصبح طبيعيا أن تساير الجامعات الأمريكية ذلك الاهتمام فشجعت باحثيهـــا على دراســـة تاريخ مصر وغيرها من بلدان الشرق الأوسط الى درجة يمكن بها القول أن المـــدرسة

التاريخية الأمريكية استطاعت بدراستها الأكاديمية المتعددة فى تاريخ مصر الحديث أن تغطى مساحات كبيرة من احداثه وتطوراته الى درجة ليست مفيدة للأمريكيين المهتمين بتاريخ مصر فحسب ، وانما مفيدة للباحثين والمؤرخين المصريين أيضا •

وهنا برز سؤال آخر هو اذا كان واجب كل مؤرخ أن يخلع عن نفسه كل رداء قومى أو عرقى أو دينى ، ولا يرتدى سوى رداء الحقيقة ، ولا يهدف الا للبحث عنها عند كتابة التاريخ ، فهل سار المؤرخون والباحثون الأمريكيون على هذا المنوال ؟

الواقع أن الكثيرين من المؤرخين الأمريكيين الذين كتبوا عن مصر الحديثة كانوا محايدين فى كتاباتهم ، وهدفهم الحقيقة نفسها دون غاية أخرى وبذلوا الجهود المضنية فى تعلم اللغة العربية ، والرجوع الى المصادر الأصلية فى دور الوثائق بمصر ، ولكن قلة منهم هم الذين نصبوا أنفسهم لأغراض أخرى ، كما أن بعضهم اكتفى بالمصادر الأجنبية ولم يرجع الى المصادر التى كتبت فى حقل الأحداث التى يقوم دراستها وهى مصر •

وبعد تفحصنا للدراسات الأمريكية فى تاريخ مصر الحديث ومؤلفيها نلاحظ الآتى :

١ — ان الكثيرين من اليهود دارسى التاريخ فى الجامعات الأمريكية اختاروا تاريخ مصر الحديث حقلا لدراساتهم ، وربما يرجع ذلك الى معرفة بعضهم للغة العربية سواء عن طريق دراستها أو ممارستها كلغة للحديث أثناء العيش فى مصر وبعض البلاد العربية مما ساعدهم على قراءة المصادر العربية فى تاريخ مصر الحديث وربما يرجع ذلك لأسباب أخرى •

٢ — لم يقتصر أمر عدم التنسيق بين الجامعات المصرية فيما بينها فى عملية اختيار الموضوعات التى يقوم الباحثون بدراستها للماجستير

والدكتوراه مما أدى الى تكرار بعض الرسائل بل أن هـذا الأمر أيضا ينطبق على الجامعات الأمريكية حيث أن هناك رسائل متشابهة أجيزت فى أكثر من جامعة ، وأحيانا فى جامعة واحدة •

٣ ــ يلاحظ أن بعض البحوث التى أجيزت فى الجامعات الأمريكية قبيل الخمسينات من هذا القرن كانت تفتقر الى بعض أصـول البحث العلمى فبعضها يفتقر الى ثبت المصادر ، وبعضها أهمل الخاتمة ، وعلى سبيل المثال دراسة Wilfred Smith المعنونة The Azhar Journal لاتوجد بها قائمة مصادر ودراسة Donald Nicholson المعنونة

The History of the Anglo - Egyptian Sudan.

افتقرت الى الخاتمة •

٤ ــ يلاحظ فى تصنيف مصادر الدراسات التاريخية التى أجازتها الجامعات الأمريكية عن مصر الحديث أن بعض الباحثين يضعون قائمة الوثائق التى رجعوا اليها بعد قائمة المراجع مع أن الوثائق هى المصادر الأولية التى يجب أن توضع فى المقـدمة ، كما أن بعضهم فى تصنيفه للمصادر العربيـة يضع بعض المؤلفات الحديثة التى كتبها أكاديميون ضمن المصادر الأولية بينما يضع بعض المصادر المعاصرة للأحداث ضمن المصادر الثـانوية والأمثلة على ذلك عـديدة نذكر منها الرسـالة التى أجازها قسم التاريخ بجامعة نيويورك تحت عنوان :

The Reforming years of Khedive Ismail Ibn Ibrahim 1863-1879.

٥ ــ ان أقسام العلوم السياسية بالجامعـات الأمريكيـة تدفع باحثيها للماجستير والدكتوراه على الخوض فى موضـوعات تدخل فى نطـاق علم التـاريخ أكثر منها فى نطاق العلوم السياسـية ، ففترة العثمانيين ومحمد على وحتى عام ١٩٥٢ تدخل فى جامعاتنا فى نطـاق علم التاريخ أما فى الجامعات الأمريكية فتدرسها أحيـانا بعض أقسام

العلوم السياسية ، وعلى سبيل المثال هناك رسالة أجيزت فى American University عام ١٩٦٤ تحت عنوان الامبراطورية العثمانية بين الحداثة والتقليد (٢) .

Modernism and Traditionalism in the Ottoman Empire 1790-1922.

يضاف الى ذلك أن أقسام التاريخ بالجامعات الأمريكية أيضا لاتقف عند تاريخ معين فى دراسات باحثيها لتاريخ مصر المعاصر فهناك رسالة عن الجمهورية العربية المتحدة قدمها الباحث Alfred Gerteing George عام ١٩٦٣ الى John's University وكان عنوانها « **مفهوم الحياد الايجابى فى الجمهورية العربية المتحدة** »

The Concpt of Positive Neutralism in the United Arab Repuplic

كما أن هناك رسائل عن عبد الناصر والعلاقات المصرية السوفيتية.

وعلى كل حال فانه بالرغم من أن الجامعات الأمريكية قد شجعت باحثيها على دراسة تاريخ مصر الحديث فى شتى نواحيه فهناك موضوعات تطرقت اليها الجامعات المصرية ، ولم تطرقها الجامعات الأمريكية حتى الآن مثل دراسات عن الحياة البرلمانية والنيابية فى مصر كما فعل عبد العزيز رفاعى فى رسالته المعنونة « **تطور النظام النيابى فى مصر الحديثة قبيل الثورة العرابية** » (٣) ومثل « تاريخ مطبعة بولاق » كما فعل أبو الفتوح رضوان فى الرسالة التى قدمها للجامعة المصرية عام ١٩٣٦ ومثل مصطلح وثائق وتاريخ الحكم العثمانى فى مصر كما فعل محمد محمد توفيق فى الرسالة التى قدمها الى جامعة فؤاد عام ١٩٤٣ ، ومثل دراسة عن الجاليات الأجنبية كما فعل صالح

---

(2) Comprehensive Dissertation Index 1861-1972, Law and Political Science. Xerox University Microfilms, p. 402.

(٣) مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ١٠٩ .

رمضان محمود فى رسالته للدكتوراه المعنونة « **الجاليات الأجنبية فى مصر فى القرن التاسع عشر ١٨٠١ — ١٨٨٢** » (٤) .

ومثل دراسة عن التنظيمات الادارية فى مصر كما فعل محمود حلمى مصطفى فى رسالته المعنونة « **التنظيمات الادارية والحكومية وآثارها فى مصر فى الفترة من ١٨٨٢ — ١٩١٤** » (٥) ورسالة نفس الباحث للدكتوراه المعنونة « **سياسة الولايات المتحدة الأمريكية نحو الباشوية المصرية منذ بدء التمثيل القنصلى ١٨٣٢ الى وقت قيام الثورة العرابية ١٨٨١** » (٦) .

ومثل دراسات عن تاريخ المدن المصرية كما فعل زين العابدين شمس الدين فى رسالته المعنونة بورسعيد (٧) .

ومثل دراسات عن تاريخ الجيش المصرى كما فعل محمدالسروجى فى دراسته المعنونة « **الجيش المصرى فى عصر الخديو اسماعيل ١٨٦٣ — ١٨٧٩** » (٨) .

وكما فعل عبد الوهاب بكر فى رسالته عن الجيش المصرى ومثل تاريخ التعليم فى عصر محمد على كما فعل عزت عبد الكريم فى

---

(٤) اجازتها آداب القاهرة فى عام ١٩٦٩ ، وهى مخطوط بمكتبة الجامعة تحت رقم ٨١٨ .

(٥) اجازتها آداب القاهرة فى عام ١٩٥٧ .

(٦) اجازتها آداب القاهرة فى عام ١٩٦٢ وهى مخطوط بمكتبةالجامعة تحت رقم ٣٠٥ .

(٧) اجازتها آداب عين شمس تحت اشراف الدكتور عبدالعزيز نوار .

(٨) اجازتها آداب الاسكندرية عام ١٩٥٧ تحت اشراف الدكتور محمد مصطفى صفوت وكانت بعنوان « موقف مصر السياسى والحربى ١٨٦٣ — ١٨٧٨ » .

رسالته المعنونة « تاريخ التعليم فى عصر محمد على » (٩) .

ومثل تاريخ الرأسمالية المصرية كما فعل محمود متولى فى رسالته المعنونة « الأصول التاريخية للرأسمالية المصرية » .

ومثل فكرة القومية العربية فى مصر كما فعل نبيه بيومى فى رسالته المعنونة « تطور فكرة القومية العربية فى مصر » وكما فعل ذوقان قرقوط فى رسالته للماجستير المعنونة « تطور الفكرة العربية فى مصر » .

ومثل دراسة حزب الأمة ، وحزب الأحرار الدستوريين كما فعل أحمد زكريا الشلق فى رسالتيه للماجستير والدكتوراه .

ومثل دراسة عن حزب الاصلاح على المبادىء الدستورية كما فعل محمد عبد الوهاب ، ومثل دراسة عن سياسة الاحتلال تجاه الحركة الوطنية ١٩١٤ — ١٩٣٦ كما فعل مصطفى النحاس جبر (١٠) .

ومثل دراسات عن بعض الزعامات المصرية أمثال عبد الله النديم ومحمد شريف باشا وعلى ماهر كما فعل عبد المنعم الجميعى فى رسالته المعنونة « **عبد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية** » (١١) .

وكما فعل طلعت اسماعيل فى رسالته المعنونة « محمد شريف باشا » وكما فعل رشوان جاب الله فى رسالته المعنونة « على ماهر ودوره فى الحياة السياسية المصرية » .

---

(٩) اجازتها الجامعة المصرية (القاهرة) عام ١٩٣٦ وكانت تحت اشراف شفيق غربال .

(١٠) مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة تحت رقم ٣٤٥١ .

(١١) اجازتها آداب عين شمس عام ١٩٧٩ ونشرت فى عام ١٩٨٠ .

(١٢) اجازتها آداب عين شمس عام ١٩٧١ .

يضاف الى ذلك أن المدرسة التاريخية المصرية قد شقت طريقها بخطوات متقدمة الى درجة لم يعد تاريخنا حكرا على دراسات المستشرق بل أخذنا منهم وأعطيناهم وشاركناهم ونافسناهم فى الدراسات التاريخية الجادة لدرجة أن الباحث الأوربى أو الأمريكى الذى يكتب عن تاريخ مصر أصبح لايمكنه الاستغناء عن الرجوع الى كتابات المؤرخين والباحثين المصريين حول موضوع بحثه ، وهذا يختلف عما كان يحدث قبل قيام المدرسة التاريخية المصرية بأداء دورها الأكاديمى ، ودليلنا على ذلك أن الرسائل التى أجازتها الجامعات الأمريكية قبل الخمسينات من هذا القرن قد خلت تماما من أى مرجع عربى ضمن مصادرها ، بينما الرسائل التى أجيزت بعد ذلك تضمنت مراجع عربية عديدة كما استفاد أصحابها من العديد من الرسائل التى نوقشت فى الجامعات المصرية ، وهذا يعنى أن تطور الدراسات التاريخية فى مصر واتباع المنهج العلمى والسير على قواعده قد أصبح أمرا واقعا ومعلما رئيسيا لايستطيع أحد أن ينكره أو يتجاهله ، كما يعنى أن أساتذة وباحثى المدرسة التاريخية المصرية كما ضخما من الدراسات الموضوعية الجادة التى شملت تاريخ مصر الحديث بكافة جوانبه .

وأخيرا أرجو أن أكون قد وفقت فى هذه الدراسة بعد الجهد الجهيد الذى بذلته من أجلها .